

الآثار السلبية لهدم البقيع على الوحدة الإسلامية

د. نور الدين أبو لحية

الحملات الوهابية على البقيع :

الحملة الأولى : (١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م) دخل الوهابيون المدينة المنورة بعد حصار طال سنة ونصف.

وثائق :

١. يروي صاحب لمع الشهاب ، فيقول: (فلما قرب إلى المدينة أرسل - أي سعود بن عبد العزيز - إلى أهلها بدخوله ، فأبوا ، وامتنعوا من ذلك ، فحمل عليهم مراراً حتى دخلها ، فقتل منها بعض أهلها حيث سمى أهلها بالناكثين... ثم إنه رتب في المدينة أحداً من آل سعود ، وخرج إلى البقيع يريد نجداً ، فأمر بتهديم كل قبة كانت في البقيع ، وتلك القبة قبة الحسن بن علي عليه السلام ، وقبة علي بن الحسين عليه السلام ، وقبة محمد الباقر عليه السلام ، وقبة جعفر الصادق عليه السلام ، وقبة عثمان^١.

١. الرّيكّي ، حسن بن جمال ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، الرياض ، دائرة الملك عبد العزيز ، ١٤٢٦هـ ، : ١٨٧ .

٢. مرَّ الرِّحَالَة (بورخارت) بالمدينة المنورة في أواخر القرن التاسع عشر وذلك بعد تهديم الوهابيين للبقيع ، فوصفها وصفاً مؤثراً جاء فيه: ولعلَّه (أي البقيع) أشد المقابر قذرة وحقارة بالقياس إلى مثله في أية مدينة شرقية في حجم المدينة ، فليس به متر واحد حسن البناء ، كلاً ؛ بل ليست به أحجار كبيرة عليها كتابة اتخذت غطاء للقبور ، إنما هي أكوام من تراب أحيطت بأحجار غير ثابتة.^١

إخراج آل سعود من المدينة المنورة :

بقيت الأمور في البقيع على حالها إلى أن سقطت دولة آل سعود على يد دولة العثمانيين ، فقد عمَّ الغضب الإسلامي سائر البلاد الإسلامية ، وارتفعت وتيرة المطالبات الشعبية بتحرير الأماكن المقدسة من القيود السعودية ، وإعادة الهبة والاحترام إليها ، كما كانت فيه على الدوام . وقد شجعت هذه الأجواء الدولة العثمانية على التفكير في استردادها ، ولذلك فقد طلبت من واليها على مصر محمد علي باشا البدء في الاستعداد لاستعادة السيطرة على الحجاز في عام ١٢٢٢ هـ . ١٨٠٧ م.^٢

الحملة الثانية : في ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

بعد ما أن استولى آل سعود على مكة المكرمة والمدينة المنورة وضواحيهما عام ١٣٤٤ هـ ، وخوفاً من غضب المسلمين في الحجاز ، وفي عامّة البلاد الإسلامية ، وتبريراً لعملهم الإجرامي المضمّر في بواطنهم الفاسدة استفتوا علماء المدينة المنورة حول حرمة البناء على القبور .

فكتبوا استفتاءً ذهب به قاضي قضاة الوهابيين مستفتياً علماء المدينة ، فاجتمع مع العلماء أولاً وتباحث معهم ، وتحت التهديد والترهيب وقع العلماء على جواب نُوه

١ . معصوم بن رحمتلي ، تحفة الحرمين وسعادة الدارين ، : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

٢ . الدولة السعودية الأولى : ٣٠٦ . ١٨٠

عنه في الاستفتاء بحُرمة البناء على القبور ، تأييداً لرأي الجماعة التي كتبت الاستفتاء .
و استناداً لهذا الجواب اعتبرت الحكومة السعودية ذلك مبرراً مشروعاً لهدم قبور
الصحابية والتابعين .

مع العلم أنه إذا كان هدم القبور واجباً شرعياً ، فلما ذاهمت بعضها دون بعضها
الآخر؟ إذ صبَّ الوهابية جام غضبهم على آثار مراقدة وبيوت أهل البيت عليهم السلام
وصحابة الرسول صلى الله عليه وآله ، وعلى كل أثر يدل على رمزية الإسلام .

بينما بقيت الآثار الأخرى ، منها :

مدائن صالح .

آثار اليهود في خيبر ، يحافظون عليها .

آثار بني سعود في نجد .

وأما الآثار السلبية :

الأثر الأول : تقسيم المسلمين إلى موحدّين ومشرّكين ، وإشاعة الصراع
بينهم ، تمّ ذلك في مرحلتين :

المرحلة الأولى : إخراج الصوفية من الإسلام .

المرحلة الثانية : إخراج الشيعة من الإسلام .

الأثر الثاني : خرق اتحاد المسلمين حول حرمة المدفونين في البقيع من
الأئمة عليهم السلام

مع أنهم محل اتفاق بين المسلمين جميعاً... وما تبع ذلك من غفلة الأمة عن كبار
الأئمة المدفونين في البقيع :

١- قبر الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

٢- قبر الإمام علي بن الحسين زين العابدين و سيد الساجدين عليه السلام.

٣- قبر الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

٤- قبر الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

بالإضافة إلى:

قبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قبر سيدتنا و مولاتنا فاطمة الزهراء بنت الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين،

[على قول].

الأثر الثالث: خرق اتحاد المسلمين حول حرمة المدفونين من الصحابة و التابعين.

و إيهام المسلمين أن الشيعة لهم موقف سلبي من جميع الصحابة و التابعين.

روى مسلم في الصحيح عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله كلما كانت ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «سلامٌ عليكم دار قومٍ مؤمنين، و أتاكم ماتوعدون، و آتانا أن شاء الله بكم لاحقون، اللهم أغفر لاهل بقيع الغرقد.

كل الصحابة الذين ماتوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل: أول من دفن فيه من المسلمين أسعد بن زرارة الأنصاري.. الصحابي الجليل عثمان بن مظعون.

قبر فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب و أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

قبر العباس بن عبد المطلب عمّ الرسول صلى الله عليه وآله.

قبور أمهات المؤمنين زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله.

قبر حليلة السعدية رضوان الله تعالى عليها مرضعة رسول الله ﷺ.

قبر أم البنين ، فاطمة الكلابية زوجة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأم أبي الفضل
العباس عليه السلام.

قلنا إنّ المرحلة الأولى: تقسيم المسلمين إلى موحدين و مشركين ، وفيها كان التركيز
على الصوفية ، واعتبار الوهابية نفسها هي من يمثل التوحيد أما سائر الأمة من
صوفية و مالكية و شافعية و غيرهم مشركين!
و أما المرحلة الثانية: التغاضي عن سائر المذاهب و التركيز على الشيعة و اعتبارهم
و حدهم بأنهم هم الذين يعظم القبور.
